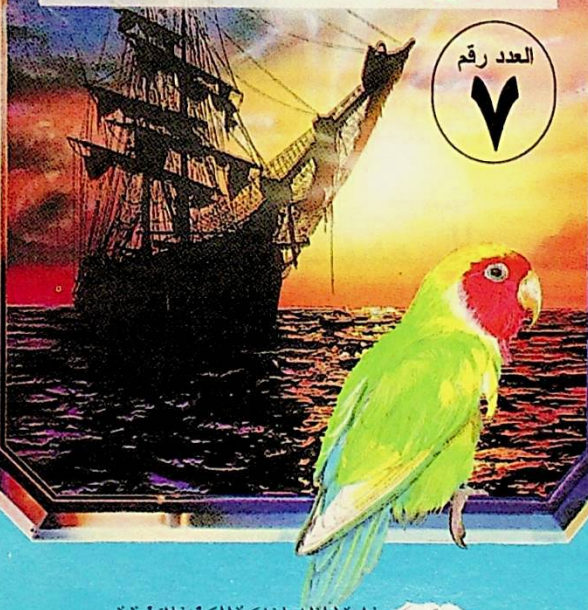


سلسلة
رحلات ابن بطوطة

في بلاد الصين

العدد رقم

٧



دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبدعزیز



دار
قبا
ء
للطب
اعة
والن
شر
والت
وزیع



سلسلة



العدد

سلالات ابن بطوطة

ابن بطوطة في

بلاد الصين

نوال مهدي

الناشر

دار فضاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ٢

عده غرب

الكتاب : سلسلة رحلات ابن بطوطة
المؤلف : أ. نوال مهني
تاريخ النشر : ١٩٩٩ م
حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع

عمده غريب

شركة مساهمة مغربية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت ف : ٢٤٧٤٠٣٨ ، ت : ٢٤٦٢٥٦٢

العزيمع : ١٠ شارع كامل صدقي الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت : ٠١٥/٣٦٢٧٢٧ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

رقم الإيداع : ٩٩/٢٣٧٨

الترقيم الدولي : ISBN

977-303-085-7

ابن بطوطة وبداية الرحلة

قرر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطنجي الشهير بابن بطوطة القيام برحلة طويلة لزيارة البلاد ومعرفة أخبار العباد وأقنع والديه بأنه مسافر لأداء فريضة الحج فسمحا له وخرج من بلدته طنجة بالمغرب قاصداً مكة. وحين خرج ابن بطوطة للرحلة لم يكن معه سوى بضعة دنانير وفي عصره كانت الزوايا والتكايا تعطي بلاد العالم الإسلامي فكان ينزل ضيفا عليها وعلى الأولياء والمشايخ وأصحاب الطرق الصوفية فكانوا يستضيفونه ويرحبون

به. وفى عصر ابن بطوطة لم يكن الناس يسافرون إلا للأمر الهامة مثل الحج والتجارة ولم يكن السفر للسياحة والرحلات أمراً شائعاً أو سائغاً. ولكن ابن بطوطة كان يهوى السفر والتجوال وكان شخصية ظريفة طريفة بمقاييس عصره. واستمرت رحلته خمسة وعشرين عاماً وبلغ طولها مائة وأربعين ألفاً من الكيلو مترات زار خلالها معظم بلدان العالم القديم ورأى خلالها من العجائب والغرائب ومن الطرائف واللطائف ما لم يره غيره وتعلم خلالها عدة لغات وتعرض للهلاك عشرات المرات، ولكنه نجا بفضل قوة صحته لم ينظم ابن بطوطة

رحلته على أساس جغرافى فلا فرق عنده بين بلد وآخر ولم يشغل نفسه بالعمل أو التجارة ولكنه تفرغ للسياحة والمشاهدة فكانت رحلته دينية اجتماعية ولم تكن من أجل كشف جغرافية أو بحوث علمية. وكان عمر ابن بطوطة وقت خروجه للرحلة اثنين وعشرين عاما وحينما عاد قابل سلطان البلاد فأكرمه وأعجب بأخبار الرحلة وأمره بتسجيلها، وحين انتهى من كتابتها أسماها (تحفة النظار فى غرائب الأمصار) فعهد السلطان إلى وزيره عبد الله بن جزى وكان كاتباً أديباً بصياغة الرحلة بأسلوب أدبى وتهذيبها ففعل. وكان زمن



الرحلة القرن الرابع عشر الميلادي، ويعتبر
ابن بطوطة رحالة العرب والإسلام في العصور
الوسيطة ولا زالت أخبار رحلته العجيبة
المدهشة تشغل العالم حتى الآن فهيا بنا نطوف
معه ونتابع رحلته.

في سنة ١٣٢٥ هـ قسده بتحصينها في سنة ١٣٢٥ هـ
مصر ذلك عكسها في سنة ١٣٢٥ هـ نوال مهني ليل
رسد في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ
في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ
في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ
في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ
في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ
في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ في سنة ١٣٢٥ هـ

ابن بطوطة فى بلاد الصين

دخل صديقنا ابن بطوطة بلاد الصين
الواسعة وهى آخر ما وصل اليه فى أقصى
الشرق فى رحلته الطويلة وبلاد الصين تستمد
هذا الاسم من أسرة حاكمة حكمت هذه البلاد
قبل الميلاد وتسمى أسرة تشين ثم أطلق الاسم
على البلاد بعد ذلك أما لفظ الصين فهو
التحريف العربى لكلمة.

وحين دخل ابن بطوطة الصين كانت
خاضعة لحكم التتار من أحفاد جنكيزخان الذى
غزا هذه البلاد وقضى على أسرة تشين.

وأهل الصين وثنيون ولهم معابد كبيرة
ويحرقون الموتى مثل الهنود.

وسار ابن بطوطة في الشوارع يتفرج على
أهل البلاد فرأى أنهم قصار القامة وعيونهم
ضيقة ومنتفخة ولكنهم يمتازون بالشعر الأسود
الناعم.

ولفت نظر ابن بطوطة حينما ذهب إلى
سوق الدجاج أن أحجام الدجاج والديوك في
الصين كبيرة جدا وقد اشترى دجاجة هو
وأصحابه واران طبخها في حلة كبيرة فلم
تسعها فطبخوها في حلتين.

ورأى ابن بطوطة فى أسواق الصين العملة الورقية لأول مرة وهى عبارة عن أوراق فى حجم الكف مدموغة بخاتم السلطان وحين تتمزق يحملها صاحبها إلى دار خاصة تابعة للسلطان فسيتمد لها بأوراق جديدة، واعتقد ابن بطوطة أن التعامل بهذه العملة الورقية دليل على قلة الذهب والفضة. حيث كان الناس يتعاملون بالدنانير والدرهم المصنوعة من الذهب والفضة. أو ربما يدخرون الذهب والفضة لاستغلالهما فى صناعة أشياء أخرى فمثلا من عادة الأثرياء هنا تقديم الطعام فى أوان من الذهب والفضة وخاصة فى المناسبات

أو عند حضور ضيوف غرباء إلى بيوتهم
وسمع ابن بطوطة عن فخار الصين وهو من
أجود وأبدع أنواع الفخار ويصدرونه إلى سائر
البلاد ويحضر التجار خصيصا لشراء هذا
الفخار أو الخزف الذي يسمى صيني نسبة إلى
بلاد الصين، حيث كان الصناع يتقنون في
نقشه وزخرفته ويصنعون منه الأطباق
والسلاطين والصواني والفناجين. وأباريق
الزينة التي توضع
الأزهار بها.

ومن الفاكهة التي أعجبت ابن بطوطة تفاح
الصين أو النارج وهو البرتقال المعروف لأن

موطنه الأصلي بلاد الصين، وقد نقله التجار
والرحالة المسلمون إلى بلاد العرب ثم انتقل
إلى أوروبا عن طريق إسبانيا، ولا زال أهل
المغرب العربي يطلقون على البرتقال اسم
لتشين.

وعرف عن أهل الصين براعتهم في الرسم
والتصوير فكان صاحبنا ابن بطوطة يرمي
المصورين والرسامين جالسين ومعهم أدواتهم
وكلما دخل سوقا أو مكانا وخرج منه يرى
صورته مرسومة على الحوائط والجدران أو
اللوحات التي أعدت للرسم.

وأراد ابن بطوطة معرفة أحوال المسلمين في هذه البلاد فعرف أنهم يقيمون في أماكن خاصة بهم وهم أصحاب السيادة فيها. ومعظم هذه الأماكن والأحياء على درجة من الفخامة وعلو الشأن ومضى يبحث عن هذه الأماكن حتى وصل إلى مدينة زيتون وهي ميناء عظيم ويعتبر مرساها في نظر ابن بطوطة أعظم مرسى في العالم كله. وقد رأى في هذا الميناء أنواع السفن والمراكب العظيمة وهي ثلاثة أصناف - أولها الجنك وهو أكبر الأحجام والزو وهو الحجم الأوسط والكم وهو المركب الصغير ويعتبر الجنك سفينة عظيمة لها اثنا

عشر قلعا ويخدم فيها أكثر من ألف رجل ولها
مجاديف كبيرة ويحرك كل مجداف عشرة
رجال على الأقل وهي مكونة من أربعة طوابق
وكل طابق به غرف منفصلة نوات حمامات
وتسمى المصريات وكل مصرية لها مفتاح
يقفلها صاحبها عليه وعلى جوانب السفينة
تزرع الزهور في أحواض من الخشب. وربان
السفينة أو الجنك يعامل كأنه أمير كبير.
ويعتبر الجنك فندقا عائما بلغة عصرنا
الحالي كما تعتبر المصرية جناحا مستقلا.
وحينما وصل ابن بطوطة إلى أحد أحياء
المسلمين عرفه تجار المسلمين من هيئته وقالوا

له أنت عربي مسلم فرحبوا به وعرفوه على
القاضي وكان اسمه تاج الدين وعلى شيخ
الإسلام عندهم واسمه كمال الدين فأكرمه وأمر
التجار بجمع زكاة المال وإعطائها له فصار
كأنه واحد منهم. وكانت هذه عادتهم مع كل
غريب يفد اليهم، ثم كتبوا إلى الخان الكبير ملك
التتار فأمرهم أن يرسلوه إليه في مدينة خان
بالق في شمال الصين.

وعرف من أهل البلد أن سد ياجوج
وماجوج على بعد مسيرة ستين يوما من كانتون
والمسافة بينهما تسكنها قبائل رحالة من اكلية
لحوم البشر ولهذا لا يفكر أحد في زيارة هذا

السد خوفا من أكلة لحوم البشر المتوحشين
الذين يقطعون الطريق على كل مسافر فيه.
وركب ابن بطوطة مركبا فى النهر واتجه
إلى خان بالق ومعناها بلد الخان وهى مدينة
بكين الحالية. وفى الطريق وقف ليستريح على
ساحل إحدى المدن ووجد بها جالية إسلامية
فخرج أفراد الجالية بالطبول والأعلام
والمنشدين ومعهم التجار والأعيان والشيوخ.
وتصادف أن رأى مواطنا من المغاربة فتعرف
عليه من ملبسه ولهجته ففرح كل منهما بلقاء
أخيه حتى بكى.

وبعد ذلك تابع سيره بالمركب وفي الطريق
توقف عند مدينة الخنسا وهي مدينة كنساي
الحالية وكانت في ذلك الوقت من أكبر مدن
الدنيا وتتكون من ست مدن مترابطة والمدينة
الثالثة كانت إسلامية وحين نزل ابن بطوطة
سمع صوت المؤذن فتوجه للصلاة في المسجد
فقابل أولاد عثمان بن عفان المصري وهو
مصري حضر للتجارة فأعجبته المدينة فاستقر
بها وترك لأولاده وأحفاده تجارة وثروة كبيرة
وأوصاهم بالعطف على الفقراء وإعانة
المحتاجين وإكرام الضيوف..

فلما تعرفوا على ابن بطوطة أخذوه إلى
 زاويتهم المعروفة واسمها العثمانية وظل ضيفا
 عليهم لمدة خمسة عشرة يوما ثم استأذنهم في
 السفر إلى الخان، وقبل أن يخرج من المدينة
 زار أميرها الذي أكرمه وأعد له هدية تشمل
 كل ما يحتاجه المسافر. *بمشا ناله به ممشا ناله*
 وهكذا كان ابن بطوطة طوال الطريق
 حريصا على لقاء الناس ورؤية كل ما يمر به
 من بلاد وعباد واستمر في السير بحرا وبراً
 حتى وصل إلى مدينة خان بالق بعد أربعة
 وستين يوماً من السفر، ومدينة خان بالق في
 زمن ابن بطوطة كانت مدينة كبيرة عامرة

وتحفها البساتين أى أن البساتين والحدائق من خارجها وهذا خلاف مدن الصين الأخرى التى كانت مصممة بحيث تكون الحدائق داخلها وتبدو الشوارع وكأنها بساتين وزروع. ولما وصل ابن بطوطة مدينة خان بالق قابل الشيخ برهان الدين ومكث عنده فترة حتى استراح من السفر واستعد لمقابلة السلطان.

وفجأة حدث حادث مؤسف لم يكن فى الحسبان، ولكن نذير سوء طالع ابن بطوطة فى هذا البلد، فقد قامت الحرب بين السلطان وابن عمه الذى خرج عليه وقامت فتنة كبيرة ودسائس خطيرة قتل على أثرها السلطان

واستولى ابن عمه على الحكم وكان اسمه فيروز. ولما انتشر الخبر نصح الشيخ برهان الدين صديقه ابن بطوطة بالعودة إلى مدينة زيتون خوفا من بطش فيروز السلطان الجديد إذا ما عرف ان ابن بطوطة جاء لمقابلة السلطان السابق. ففعلت تشائم ابن بطوطة وقرر العودة من حيث جاء دون ان يقابل القان أو الخان بعد أن قطع شهورا طويلة في السفر اليه. ما وسلك ابن بطوطة في العودة نفس الطريق الذي جاء منه وركب جنكا (سفينة) كبيرا سار في البحر وكانت الريح طيبة والصحبة لطيفة،

وفجأة تغير الجو وأظلمت السماء ومضت
عشرة أيام كاملة على هذه الحال ودخل الجنك
بحرا غريبا وخاف الملاحون أن يتوه الجنك أو
يغرق بهم وأرادوا العودة إلى خان بالق دون
جدوى.

واستمر الحال هكذا لمدة اثنين وأربعين
يوما كاملة وبعد ذلك رأوا جبلا ضخما في
السماء يغطي الأفق ويحجب الرؤية تماما.
وبدأ الجبل يتحرك ويرفرف ويعلو في
الجو وعرف ركاب السفينة أنه طائر الرخ ولم
يكن ابن بطوطة قد سمع عنه من قبل.

وكان الاعتقاد السائد أن طائر الرخ طائر خرافي جاء ذكره في الاساطير وفي حكايات ألف ليلة وليلة، ولكن ها هو الرحالة ابن بطوطة يؤكد أن هناك في هذه البلاد البعيدة طائرا ضخما سد الأفق اسمه الرخ ويعرفه البحارة من أهل البلاد ولعله انقرض في عصرنا الحالي ولم يعد له وجود مثل الديناصور، وجميع الحيوانات والطيور البالغة الضخامة التي سمعنا عنها ولم نرها.

وكانت حكومة الصين تفرض رقابة شديدة على الصينيين المسافرين خارج البلاد والمستولون يقيدون أسماءهم عندهم وتلزم

الحكومة صاحب الجناك بعودتهم إلى بلادهم
ثانية، وكذلك تحرص الحكومة على تأمين
التجار والغرباء وتحافظ على أموالهم. *عليها سفار*
ولذلك كان الضيوف والغرباء يسرون
بأمتعتهم أو يتركونها عند أصدقائهم دون خوف
عليها لأن البلاد آمنة. *عكبتنا رها عدة اصحاب*
وأهل الصين طيبون مسالمون يتحدثون
بصوت منخفض وبدون انفعال لأنهم يمتازون
بالهدوء والأدب، وتقل في بلادهم الجرائم
والمشاكل وهم يحبون النشاط ويقدمون العمل
ويكرهون الكسل وأشهر أكلاتهم من الأرز فهم
يصنعون منه اصنافا كثيرة حتى الخبز. *بشماع*

ورأى صديقنا ابن بطوطة نهرا كبيرا ببلاذ الصين يمر بوسط البلاد وعلى شاطئيه الزروع والبساتين والقرى والأسواق وهذا النهر اسمه ماء الحياة وينبع من جبل قرب مدينة خان بالق اسمه جبل القروذ، وابن بطوطة كعادته يترجم معانى الأسماء إلى العربية، ولذلك فهو يخبرنا بالأسماء العربية وربما سمع ذلك من التجار العرب المقيمين بالصين، واستغرقت رحلة العودة من خان بالق حوالى شهرين قضاها ابن بطوطة فى الجنك. عرف خلالها من أحاديث البحارة والتجار الذين قابلهم وركبوا معه أن قوبلاى خان حفيد جنكيز خان ملك التتار الذى

غزا بلاد الصين وضمها إلى أمبراطوريته
الواسعة. هو الذى أنشأ أسرة يوان وظل
يحارب حتى وحد الصين كلها وجعل خان بالق
(بكين) عاصمة لحكمه وشق الطرق ونظم
البريد، ولذلك نشطت فى عهده التجارة وفى
أيامه عظم شأن الإسلام وقامت مملكة إسلامية
فى شمال فيتنام وانتشر المسلمون من عرب
وفرس وترك وأقاموا ببلاد الصين. *بغداد*
وحين اعتنق السلطان قازان الإسلام فتح
أبواب مملكة إيوان أو الأسرة الحاكمة للمسلمين
ودخل عدد كبير من الصينيين فى الإسلام
وغيره

وانتشرت الجاليات الإسلامية جنوب وشرق
بلاد الصين.

و عرف ابن بطوطة أن حضارة الصين في
هذه الفترة قامت على أكتاف علماء المسلمين
وظل المسلمون منتشرين ولهم جاليات كبيرة
ومدن عامرة وأسواق عظيمة وقصور فخمة.
إلى أن ضعفت دولة المغول المسلمين وقامت
الحروب بينها وبين أسرة بينج الصينية
وانتصرت أسرة بينج وانتهى حكم التتار،
ولكن للأسف ضعف شأن المسلمين بعد ذلك
في الصين بسبب تعصب أسرة بينج الصينية
الوثنية التي كانت تكره الديانات السماوية على

اختلافها فتعرض المسلمون للاضطهاد والظلم
نتيجة لتعصب الحكام الجدد.
و حين عرف ابن بطوطة بتعصب البوذيين
ضد الإسلام رفض زيارة المعابد البوذية لأنها
معابد أوثان يعبدها الكفار ولا يعبدون الله
الواحد، وقرر ابن بطوطة الخروج من بلاد
الصين والرجوع إلى المشرق ولم يتمكن من
زيارة سور الصين العظيم الذي كان من
عجائب الدنيا السبع في العالم القديم. ورسيت
المركب أو الجنك على ساحل جزيرة جاوه
فنزل به ابن بطوطة. وبذلك يكون قد خرج من
بلاد الصين القديمة.

وبلاد الصين الحالية متسعة المساحة
 ويصل عدد سكانها إلى ربع سكان العالم تقريبا
 وتعتبر من الدول الصناعية الكبرى لأن
 منتجاتها تغزو العالم. وأسعارها رخيصة نتيجة
 لتوفر المادة الخام في أراضيها وكثرة الأيدي
 العاملة بسبب زيادة السكان. وهي عضو في
 هيئة الأمم المتحدة لها حق الفيتو أو حق
 الاعتراض وهي دولة مسالمة ولها علاقات
 حسنة مع الدول العربية.

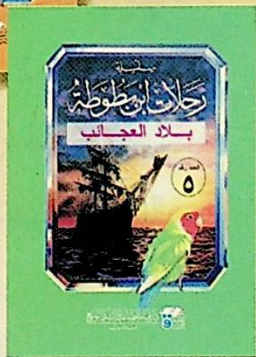
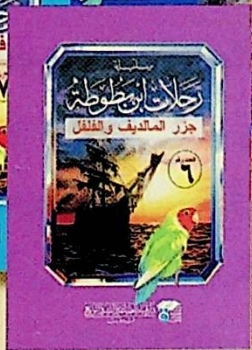
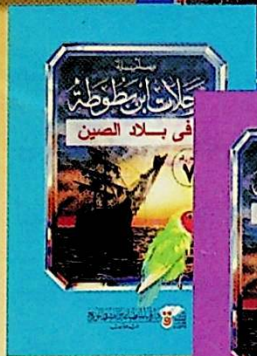
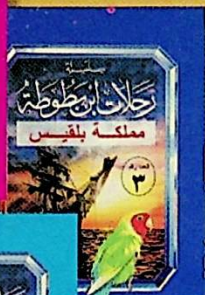
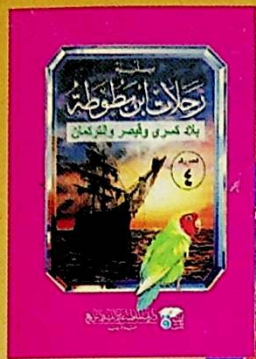
وحين زار ابن بطوطة الصين منذ أكثر
 من ستمائة عام وبالتحديد في القرن الرابع
 عشر الميلادي (الثامن الهجري) كانت تعتبر

في نظر العرب آخر بلاد الدنيا جهة الشرق
وكان الوصول إليها أصعب من الوصول إلى
القمر في القرن العشرين بسبب صعوبة
المواصلات وتخلفها ومخاطر الطريق.
ولكن ابن بطوطة الرحالة المغامر واجه
الأخطار وتحدى الصعاب وقام برحلته الفريدة من
جنوب الصين إلى شمالها وقدم لنا تقريراً تاريخياً
عن أحوالها وأحوال المسلمين والعرب بها، وبعد
أن تم له ما أراد قرر العودة من أقصى بلاد
الشرق كي يتابع رحلته إلى مكان آخر.





صدر من سلسلة رحلات ابن بطوطة



إدارة النشر والتوزيع

ت: ٥٩١٧٥٣٢ ص.ب ١٢٢ الفجالة

برج أمون - مصر الجديدة

ت: ٢٤٦٢٥٦٢ / فاكس: ٢٤٧٤٠٣٨

٤٦
إقبال
قطع الثقافة

١٠